ذكر القصب في المراثي

أ.د. طالب منعم حبيب الشمري أ.م. احمد حبيب سنيد الفتلاوي
كلية التربية/ جامعة واسط كلية التربية/ جامعة بابل

Male reeds in the lamentations

Prof. Dr. Taleb Menem Habib Al – Shammari
Collage of Education\ University of Wasit
Ass. Prof. Ahmed Habib Sneed Fatalawi
Collage of Education\ University of Babylon

Abstract:

The lamentations of the art of lyric poetry, in which the poet expresses his sadness and disappointment to the loss of a person or something dear, and has the privilege of the heritage of the people of Mesopotamia with great interest and diversity and a high position because of its interrelations with the lives and rituals of people, Religious texts of the civilization of Mesopotamia, which is considered an important part of the religious heritage and with the importance represented by the texts of lamentations, these texts were not without hints of cane or its expressions. The reeds were mentioned in many texts of lamentations, which varied between the lamentations of the gods and the legacies of the cities and legacies of kings and people

Keywords: cane, mirth, July, king, ur, marsh, city, absence, cry**.**

الملخص:

تعد المراثي من فنون الشعر الغنائي, وفيه يعبر الشاعر عن حزنه وتفجعه لفقد شخص او شيء عزيز, وقد حظية المراثي عند سكان بلاد الرافدين باهتمام كبير, وتنوع شديد, ومكانة مرموقة لما لها من ترابط مع حياة الناس وشعائرهم, وهي تحتفظ بمسحة قدسية من خلال العقائد الدينية لحضارة بلاد الرافدين التي عدته جزءاً مهماً من المورث الديني ومع الاهمية التي تمثلها نصوص الرثاء فان تلك النصوص لم تخل من تلميحات للقصب او تعابيره فقد ورد ذكر القصب في العديد من نصوص الرثاء والتي تنوعت ما بين مراثي الالهة ومراثي المدن ومراثي الملوك والاشخاص.

كلمات مفتاحية: قصب, مرثية, تموز, الملك, اور, الاهوار, مدينة, غياب, ابكي.

المقدمة:

مما لا شك فيه ان المراثي تعد من المواضيع المهمة التي كان لها مكانة مهمة في ادب بلاد الرافدين وبقدر تعلق الامر بالقصب فان هذا اللون من الادب لم يخلو من ذكر القصب بين مضامين نصوصه الشعرية, فقد تضمنت مراثي الالهة بين ابياتها الشعرية العديد من الاشارات الى القصب, كما ان مراثي المدن لا سيما مدينة اور واكد وبابل وايسن قد حفلت بذكر القصب ايضاً بين مضامينها, والامر ذاته ينطبق على رثاء الملوك والاشخاص. وقد تمت الاشارة للقصب في هذه المراثي بصورة صريحة كنبات يموت وينمو من جديد او بصورة غير صريحة كألة او اي شيء اخر صنع من القصب او الاستشهاد به عند قطعه او ذكره كحزمة قصب.

ولعل من اهم الاسباب التي دفعتنا لكتابة هذا البحث هو ان الموضوع بحد ذاته لم يتم التطرق اليه من قبل اي باحث اخر, كما ان هذا البحث يكشف لنا عن اهمية نبات القصب عند سكان بلاد الرافدين بدليل انهم ذكروه في نصوص المراثي المختلفة وكان ذكره في هذا النصوص بالنسبة لهم له مدلولاته ومعانيه التي اشاروا اليها في هذه النصوص.

يتالف البحث من ثلاثة محاور تناولنا في المحور الاول ذكر القصب في مراثي الالهة. اما في المحور الثاني فقد تناولنا ذكر القصب في مراثي المدن وفيه استعرضنا ذكر القصب في مرثية مدينة اور واكد وبابل وايسن وفي المحور الثالث تطرقنا الى ذكر القصب في مراثي الملوك والاشخاص. وقد اعتمدنا في البحث على عدد من المصادر الاجنبية والعربية المهمة التي اسعفتنا بمعلومات قيمة توزعت بين صفحات البحث.

اولاً– ذكر القصب في مراثي الالهة:

لقد حظيت النصوص الخاصة برثاء الالهة بمكانة متميزة عند سكان بلاد الرافدين, وقد تضمنت هذه المراثي بين ابياتها الشعرية العديد من الاشارات الى القصب سواء أكان ذلك بذكره بشكل صريح اي كنبات قصب ينمو ويموت في الاهوار او كان ذلك بذكره بشكل غير صريح كألة او اي شيء اخر صنع من القصب, وفيما يخص الحالة الاولى فقد ورد ذكر القصب في المرثيات التي كانت تتناول ندب الاله الميت تموز والتفجع عليه والمبالغة في اظهار الحزن عليه, لما يعنيه غيابه هذا من خطر على الحياة في البيئة بشكل عام وبقدر تعلق الامر بالقصب فاننا هنا سوف نركز في هذه المراثي على القصب اذ تصف لنا مرثية على لسان امه عرفت بعنوان (نوح المزامير) حال القصب وما يكون عليه عند غياب تموز ابنها اذ ان احراش القصب في الاهوار لم تعد تنمو كما هو معتاد, الامر الذي يظهر لنا جليا مدى اهمية تموز بحسب معتقدات سكان بلاد الرافدين في نمو القصب, وتجدد الحياة فيه, وبهذا فان تموز يشترك مع عشتار التي تظهر بحسب ما ورد في المبحث الثاني ان لها دور ايضا في نمو القصب وتكاثره ما يعني ان كلاً من تموز وعشتار كانا يشكلان ثنائي مهم لتجدد الحياة في الطبيعة واستمرارها, اذ يعد احدهما مكمل للاخر, فكان غياب تموز يعد سبباً كافياً لتحول السهول الى صحراء موحشة منعزلة، بعد ان اصبح الزرع الأخضر من قصب وقمح وعشب وشجر ذابلاً ويابساً كهبوط الليل، وهنا تصرخ المزامير النائحة والنغمات المهتزة العميقة للقيثارة، حزناً على تموز[1] والنوح عليه, وفيما ياتي نذكر النص:

ترفع صوتها بالنواح قائلة، وا ولداه. في أي–انا في التلال والوهاد ترفع صوتها بالنواح. وهي تنوح نوحها على الزرع الذي لا ينمو في تربتها. تنوح نوحها على القمح الذي لا ينبت في سنابله. تنوح على نهر عظيم حيث الصفصاف لا ينمو. تنوح على حقل، حيث القمح والأعشاب لا ينمو. تنوح على بركة، حيث لا سمك يتكاثر. تنوح على أحراش القصب حيث لا قصب ينمو[2].

وكان انتظار قدوم الربيع وعودة الطبيعة الى حياتها الفاعلة, يرافقه في بلاد الرافدين, قلق الانسان المنتظر لهذا البعث وعدم تأكده في كل مرة من ان ذلك سوف يحدث. لذا كان يتم التعبير عن هذا القلق بنواح وبمرثيات تبكي هذا الغياب, غياب الاسماك في الاهوار كي تتكاثر وغياب القصب الجديد في منابت القصب كي ينمو من جديد, وكما جاء في النص الاتي:

"**هذه المرثاة هي حقاً من اجل الهور لا يستطيع تحقيق ولادة الاسماك, هذه المرثاة هي حقاً من اجل الاجمات, من اجل القصب القديم لا يستطيع توليد قصب جديد[3]** "

ويتكرر الخوف من عدم تجدد الحياة في مرثية اخرى تظهر فيها ام تموز الثكلى خوفها من ان لا يعود الغائب, وهذا الخوف في الحقيقة تجسيد لخوف سكان بلاد الرافدين من ان لا تتجدد الحياة من جديد وما يمكن ان يحمله ذلك من كوارث على الانسان والحيوان والطبيعة على حد سواء. وكانت احد تلك المخاوف تتمثل في ان لا ينمو القصب الجديد ليخلف القصب القديم في الاهوار, وما يعنيه هذا من تهديد لحياة ساكني الاهوار من بشر وحيوان بالخطر, لا سيما اذا ما عرفنا ان العديد من الحيوانات كانت تعيش في احراش القصب منها على سبيل المثال لا الحصر الغزلان ووعولها, وفيما ياتي نذكر النص:

"**ابكي وبكائي على السبخات, خوفي الا تكثر اسماكها, ابكي وبكائي على غيضات القصب, خوفي الا يخلف القصب القديم, ابكي وبكائي على الاحراش, خوفي الا تتكاثر غزلانها ووعولها[4]** "

ومن الكائنات الحية الاخرى التي تعيش في الاهوار اعتمادا على القصب كانت السلاحف والاسماك فقد ورد في احدى المراثي على لسان ام تموز التي تظهر فيها خشيتها من ان لا يعود ابنها من العالم الاسفل, فتنقص نتيجة ذلك خيرات الطبيعة, والتي احدها

---

(1) Jacobsen, Th.,(TITC) Toward the Image of Tammoz and other Essays on Mesopotamian History and Culture, Harvard University Press, 1970, P. 99.

(2) جيمس فريزر، أدونيس أو تموز، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، بيروت، 1979.، ص21-22.؛ جيمس فريزر, الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين, ترجمة احمد ابو زيد, القاهرة, 1973, ص22.

(3) قاسم الشواف, ديوان الاساطير سومر واكاد واشور, الكتاب الرابع, ص202.

(4) فراس السواح, الاسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية, ط2, دمشق, 2001, ص170.

كان القصب فلا يعود ينمو بكثافة في الاهوار الامر الذي يؤثر بشكل سلبي على تكاثر السلاحف والاسماك في الاهوار التي تعد بيئة مناسبة لعيشهما وتكاثرهما في حال توفر القصب بكثافة, وفيما ياتي نذكر النص:

"**العويل بحزن على الاهوار عسى ان لا يتكاثر السمك والسلاحف العويل بحزن على القصب الكثيف**[1]"

ولم يقتصر ذكر القصب في مراثي الاله تموز فقط اذ ورد ذكره ايضا في مراثي الاله (دامو)[2] ، الذي اشتهر موضوع موته في عقائد بلاد الرافدين القديم وظهر في عدد من النصوص الأدبية كنصوص المراثي التي تحاكي صيغ مراثي الإله تموز (دموزي)، اذ أنهما يتطابقان في بعض الأحيان[3]، فعندما يموت الإله دامو[4] (Damu) ويصبح بعيداً في العالم الأسفل تتحرك أمه وأخته في البحث عنه[5]، اذ ان غيابه يثير القلق والخوف من عدم عودته الامر الذي يعني حلول الجفاف وعدم تجدد الحياة في الطبيعة ما يثير الخشية عند سكان بلاد الرافدين من ان تنتقص خيرات الطبيعة والتي كان احدها القصب اذ كان هناك قلق من عدم نمو القصب الجديد ليخلف القصب القديم, وكما جاء في رثاء الإله دامو، في النص الاتي:

"**لأجله، لأجل الغائب البعيد، أبكي وخوفي ألا يعود. لأجل طفلي الغائب البعيد، أبكي وخوفي ألا يعود. لأجل (الممسوح بالزيت) الغائب البعيد، أبكي وخوفي ألا يعود..... أبكي وبكائي على أجمة القصب، خوفي ألا يخلف القصب القديم. أبكي وبكائي على الأحراش، خوفي ألا تتكاثر غزلانها ووعولها**[6]."

وفي مرثية اخرى وصلتنا ايضاً عن الاله دامو على شكل نص سومري قصير, يصف حزن واضطراب الام الحزينة وكأنها بقرة فقدت عجلها وفي سعيها من اجل البحث عن صغيرها تتوجه الى الجبل صعودا ونزولا ثم تتوجه نحو اعواد القصب وهناك تبدأ بالبكاء بين احراش القصب بعد ان اصابها اليأس في العثور عليه ولعل مشهد وقوف البقرة بين اعواد القصب مقتبس بالاساس من الواقع الذي يعيشه سكان بلاد الرافدين في الاهوار اذ ترعى الابقار بين اعواد القصب وقد يحدث ان تفقد احد الابقار عجلها فتبدا بالبحث عنه بدافع حنان الام بين احراش القصب وهي فزعة ولا بد ان الشاعر قد لاحظ هذا المشهد المؤثر في بيئته التي يعيش فيها ولهذا فقد وظفه في المرثية على شكل ابيات تصف حالة ام الاله دامو وما اصابها من هرع وحزن لفقدان ابنها الذي بدأت بالبحث عنه, وفيما ياتي نذكر النص:

"**ايتها البقرة التي فقدت عجلها ... لم يكن ممكناً منعها من التحري ذهبت حتى قاعدة الجبل صعدت الى قمة الجبل هذا ما فعلته وهي تزيح وتدفع امامها (اغصان) الاسل: ازاحت ام الفتى (الفقيد) اعواد القصب ((القديمة)) ثم جهشت ام الاله (الفقيد) بالبكاء بين مجموعات القصب...**[7]"

وفي عيد الأكيتو الذي أقيم في العصور التي تلت العصر البابلي القديم كانت تتم فيه تلاوة المراثي التي تبكي الإله الغائب الإله مردوك وكان لها علاقة بالجانب الزراعي, ويكون رثاؤه مصحوباً برثاء القصب القديم في الاجمات من ان لا يولد من جديد اذ ان الحياة النباتية ككل غابت بغياب الإله مردوك الذي أصبح سجيناً في العالم السفلي وان ذكر القصب بعد البساتين وحقول القمح يدل على

---

(1) Jacobssen, T,Treasures of Darkness, London, 1976, p.69.

(2) لم يكن دموزي الاله الوحيد الذي بكته امه اذ بكت (نين-ايسينا) ابنها (دامو) اله الشفاء في مدينة ايسين الذي اخذ طريقه ايضاً الى العالم السفلي. ينظر:
Leick, G., A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, London, 1997., p. 30.
- حنون، نائل، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط2, بغداد, 1986, ص69-70.

(3) Leick, G., A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, London, 1997., p. 30.
- نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط2, بغداد, 1986, ص69-70.

(4) الاله دامو: وهو إله سومري عُرِفَ في عصر أور الثالثة، ومورست عبادته في أيسن في جنوب العراق, وهو إله النسغ Sap الصاعد في الأشجار ومقامه تحت لحائها واختفى في الأهوار أو النهر ليظهر ثانية من النهر وعدّ إله الشفاء أيضاً ينظر:
Leick, G., A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, London, 1997., P. 30.; Jacobsen, Th., Toward the Image of Tammoz and other Essays on Mesopotamian History and Culture, P. 89.; Kramer, S.N., (SMR) The Sacred Marriage Rite. Indiana 1964., P. 164.

(5) Jacobsen, Th., Toward the Image of Tammoz and other Essays on Mesopotamian History and Culture,p. 324, No. 8.

(6) Jacobsen, Th., Toward the Image of Tammoz and other Essays on Mesopotamian History and Culture, P. 42.

(7) قاسم الشواف, ديوان الاساطير سومر واكاد واشور, ك4, ص114-115.

الاهمية التي يمثلها القصب بالنسبة للبابليين وهي بلا شك اهمية لا تقل عن البساتين والقمح نظراً لاستعمالاته المتعددة في مختلف شؤون حياتهم اليومية, وفيما ياتي نذكر النص:

"**هذه المرثاة هي حقاً من أجل ... وأرضيات البساتين التي لا تستطيع إنباتها ! هذه المرثاة هي حقاً من أجل القمح,... هذه المرثاة هي حقاً من أجل الحقل, لا يستطيع تحقيق ولادة ... هذه المرثاة هي حقاً من أجل الأجمات, من أجل القصب القديم لا يستطيع توليد قصب جديد, ...**[1]"

ولم يقتصر ذكر القصب في مراثي الاله تموز بوصفه كنبات يموت وينمو من جديد في اجمات القصب بفعل غياب او ظهور اله الخصب تموز وانما تمت الاشارة اليه ايضاً في تلك المراثي بوصفه كمادة اولية استعملت في صنع اشياء اخرى ورد ذكرها في تلك المراثي كناي القصب مثلاً فقد تمت الاشارة اليه في المراثي التي كانت تتناول ندب الاله الميت تموز والتفجع عليه, اذ جاء في احدى المراثي ان الاله تموز بعد ان ارسل في طلب امه وزوجته واخته الى ملجئه في الصحراء, توجهن الى الزريبة التي يختبيء فيها, وعندما وصلن وجدن ان عفاريت الظلام قد خطفت تموز فقعدت الام ترثي ابنها بابيات شعرية مستشهدتاً فيها بعزف ناي القصب الذي يعزف عزف حزين كنايةً على الحزن الذي يخيم عليها لفقدها ابنها الوحيد فلذة قلبها لا سيما ان العزف على ناي القصب كما هو معروف كان يرافق انشاد المراثي من قبل الكهنة في معابد بلاد الرافدين, وفيما ياتي النص:

"**على ناي القصب, قلبي يعزف ترنيمة على ناي القصب. لاجل ذلك الشريد في الصحراء, قلبي يعزف ترنيمة على ناي القصب. انا انانا التي تركت وحيدة في الفقر, وانا ننسونا ام الرب الفتى, وانا جشتيانا اخت السيد الفتى, قلبي يعزف ترنيمة على ناي القصب. لاجل ذلك الشريد في الصحراء, قلبي يعزف ترنيمة على ناي القصب. في مرابعه, في روابي الرعاة, قلبي يعزف ترنيمة على ناي القصب. في مرابع من امسى اليوم حبيساً في مرابع من امسى اليوم اسيراً, قلبي يعزف ترنيمة على ناي القصب**[2]".

كما ورد ذكر مزمار القصب في مرثية جاءت على لسان الآلهة (نن – سينا)[3], وهي تنتحب على النتائج الأليمة لتدمير المدن والمعابد، من خلال وصف الحالة التي آلت إليها تلك الأماكن التي مزقتها الحروب ففي المعابد لم تعد الموسيقى تعزف على الالات الموسيقية والتي كان احدها ألة المزمار المصنوعة من القصب ويبدو ان العزف على المزمار القصب لم يكن الغرض منه فقط لانشاد المراثي الحزينة بل كان يستعمل عزفه ايضا لانشاد الاغاني التي تمتاز بالعبارات الرقيقة والمريحة للسامعين أي الاغاني المفرحة, وفيما ياتي النص:

لا يوجد طعام أو شراب لذيذ المذاق. لا يوجد مكان للجلوس أو النوم. لا وجود لمائدة طعام مع آنيتها الفضية والبرونزية. لا وجود لآلات موسيقية مثل القيثارة، والطبل، والدف، والمزمار القصب. لا أغاني مريحة وكلمات رقيقة من مغنيي المعبد والكهنة[4] .

وفي المرثية الموجهة إلى الإله انليل، ورد فيها ذكر كوخ القصب اذ استعرض فيها الشاعر قوة وعظمة الاله انليل الذي يطيح باعدائه فلا يصمد امامه احد فيحول البيوت القوية الى اكواخ من القصب وربما قصد الشاعر من وراء ذلك القول ان الاله انليل يهدم البيت المبني من الاجر مثل كوخ القصب او من المحتمل انه قصد القول من وراء ذلك ان من نتيجة تعرض البلاد للغزو الخارجي فان التدمير والخراب كان يطال حتى البيوت القوية المبنية من الاجر لذا كان يبادر سكانها لتشييد بيوت من القصب نظرا لتوفره وسهولة تشيد البيت منه مقارنة بالاجر الذي يحتاج الى الكثير من الجهد والوقت والمال لصنعه ومن ثم بناء البيت منه. وقد شبه الشاعر عقل الاله انليل في هذه المرثية بصندوق القصب المغلق كدلالة على عناده وغضبه, وفيما يأتي النص:

---

[1] المصدر نفسه, ص202 – 203.

[2] فراس السواح, الاسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية, ط2, دمشق, 2001, ص168.، فراس السواح, مدخل الى نصوص الشرق القديم, دمشق, 2006, ص42-43.

[3] نن – سينا: وهي الآلهة الحامية لمدينة آيسن، قورنت بالآلهة انانا، وعُرِفَت في بعض الأوقات بـ (الابنة العظيمة لـ آن). ينظر:
Black, J. and Green, A., Gods, (GDSAM) Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, England, 1998. p. 140.

[4] Kramer, S.N., The weeping Goddess: Sumerian Prototype of the Mater Dolorosa, (BA) Biblical Archaeologist, 46,1983.pp. 205-206.

"**إله البلاد، المبجل الأوحد، إله البلاد. الأب انليل من يرمي الشبكة ضد الأعداء. إله البلاد دعى قدماً، البكاء والنحيب صرخة ضد الأعداء. انليل جعل أطفال سومر يصلون الجبال. وجعل أطفال الجبل يهبطون على أرض سومر. انليل الجبل العظيم، .... انليل إله البلاد من يحول البيوت القوية إلى أكواخ من القصب. أيها المبجل هل ينتهي النحيب في الصباح؟ ... الاب انليل, من نظراته حولنا, الى متى عينك لا تدمع الى متى تبقى راسك مغش بالثياب الى متى يبقى راسك محنيا نحو حجرك الى متى يبقى عقلك مقفلا كصندوق القصب**[1]"

وقد ورد في احد المراثي العائدة للاله نركال – اله العالم الاسفل – والتي كانت تتلى كجزء من طقوس منع الشر (نامبوربي)[2], استعمال حصيرة القصب كغطاء تدثر به الام وليدها الامر الذي قد يدل على استعماله من قبل سكان بلاد الرافدين كغطاء يتغطون به عند النوم, كما ورد في المرثية ذكر الطوفان الذي يعد بحسب ما ورد في المرثية من بين الظواهر الطبيعية التي تسبب الموت والدمار لاجمات القصب بسبب اغراقها بمياه الطوفان الجارفة, وكما يذكر النص:

"**الطوفان الجارف الذي لا يقاوم انه من يجعل السماء ترتعد, والارض تهتز انه حصير القصب, الذي تدثر فيه الام وليدها. قاتل اجمة القصب في بركتها. الذي يغمر الحبوب وسيقانها, الطوفان الجارف الذي يغمر الاجمات**[3]".

وبعد ان كان الراثي يعبر عن غياب الاله (تموز او مردوك) معددا نتائج غيابه السلبية على الطبيعة, ها هو فجأة لدى البعث والتحرر يتلو علينا النهاية السعيدة بعودة كل شيء وكان من بين ما يعود من جديد للظهور الزرائب (الصرايف) ويصف لنا النص طريقة بناء تلك الزرائب اذ يتم في البداية صنع السياج عن طرق جدل اعواد القصب وبعد الانتهاء من هذه العملية يتم بعد ذلك تسقيف الجدار بسقف من القصب, ولعل بناء الزرائب بعد عودة الاله يدل على موسم التكاثر الذي يستلزم من سكان بلاد الرافدين بناء زرائب اخرى لكي تتسع للمواليد الجديد من الماشية والاغنام, وما ياتي نذكر النص:

"**حيث لم تكن زرائب, اقيمت زرائب, حيث لم يكن للقطعان سياج, تم جدل سياج, حيث لم يكن مظلة قصب, نصبت مظلة**[4]".

ولا يتوقف توظيف القصب في المراثي بالشكل الذي ذكرناه فيما تقدم بل نجد ان الشاعر ذهب لابعد من ذلك عندما قام بتوظيف ما كان يجري على القصب من عمليات يومية كقطعه على سبيل المثال لا الحصر من قبل سكان بلاد الرافدين لتامين حاجتهم منه للاستشهاد به في المراثي من اجل وصف حالة الاله وما يمر به من حزن وألم, كما جاء في المرثية التي تنوح على اختفاء الآلهة (نن – كركيلو)[5] والتي لشدة حزنها على مدينتها التي نهبت عند غيابها تقوم بقص شعرها الذي شبهه الشاعر في المرثية بجز اعواد القصب. وهذا ما نقرأه فيما يأتي:

" **سأذهب إلى الإله انليل، آهٍ، رجـالــي [وسوف أقول]. آهٍ، يا دمينتي المدمرة، سوف أذهب إليه، آهٍ يا رجالي [سوف أقول]. أصبحت يداها ثقيلتين ... وتجز شعرها كالقصب، وتذرف دموعاً مريرة**[6]".

---

(1) Cohen, M, E, Balag-Compositions Sumerian Lamention Liturgies of The Second on First Millenuim B.C, SANE, 12, 1974, pp.16-17.

(2) Caplice, R, Namburbi Texts in British Musem, OrnS, 39, p.118.

(3) Cohen, M, E, Balag-Compositions Sumerian Lamention Liturgies of The Second on First Millenuim B.C, p.28.

(4) قاسم الشواف, ديوان الاساطير سومر واكاد واشور, ك4, ص204.

(5) قورنت (نن – كركيلو) بالآلهة (انانا)، ويبدو أن هذه المرثية قد قامت على قصة حبس الآلهة انانا في العالم الأسفل من قبل أختها ايرش كيكال، ويبدو ان مدينتها قد نهبت في اثناء غيابها، وتم التوسل إلى الإله ننا ليتدخل في إطلاق سراح ابنته نن كركيلو، وخلال تجوالها في السهل الذي أصبح مقترناً بأرض الموتى، سمعت بمصيبة مدينتها، وأصرت على أن تغادر هذا العالم لترى الإله انليل وهو قائد الآلهة الذي لديه القوة لإنهاء دمار المدينة. ينظر:

Cohen, E., balag-compositions, Sumerian Lamentation Liturgies of the Second and First Millennium B.C, SANE, Vol. I, 1974. pp.39-40.

(6) Cohen, E., balag-compositions, Sumerian Lamentation Liturgies of the Second and First Millennium B.C, SANE, Vol. I, 1974. pp. 39-40.

وفي رثاء موجه الى الاله ننورتا يستعرض النص بين مضامينه ارجاع كل شيء الى اصله او المكان الذي جلب منه فالقصب الى اجمته التي جلب منها وعوارض الخشب الى الغابة في اشارة منه الى ان العدو لا بد ان يعود الى ارضه التي قدم منها, وكما جاء في النص الاتي:

"**ننورتا اغدق الثناء على نفسه ارض العدو آه آه ... ارض العدو متى يعود قصبك الى اجمة القصب, ارض العدو متى تعود عوارض الخشب الى غاباتها**[1]".

ومن الطريف ذكره بهذا الخصوص ان كاهن الكالو عندما كان يقوم بترديد المراثي كان يجلس على مقعد مصنوع من القصب بحضور الملك بحسب ما ورد في النص الاتي:

" **مذابح قصب اربعة ... تضرب طبل (lilissu) البرونزي عندك الملك يجلس على مقعد القصب. يلبس التاج على رأسه, أنت تغني مرثية المياه العظيمة تغمر المحاصيل**[2]".

ثانياً- ذكر القصب في مراثي المدن:

تعد مراثي المدن واحدة من اقدم نصوص الرثاء التي وصلت الينا, والتي اختصت بحادثة تاريخية محددة الا وهي دمار تلك المدن وسقوطها[3], وقد حفلت هذه المراثي بذكر القصب بين مضامينها, وعلى الرغم من ان القصب كان يستخدم في أغراض كثيرة في بلاد الرافدين, الا انه كان يثير صورة الكآبة والحزن في المخيلة الشعرية: فمدينة أور في محنتها "**يتدلى رأسها مثل قصبة وحيدة**" [4], وكان اسل القصب يستثير صورة التقطيع والتمزيق, مثلما يستثير ذلك الكراث المسحوق على الرغم من قيمته غذاءً رئيسياً[5], هذا فضلاً على ان الشعراء كان من بين ما اهتموا به في الرثاء هو حرصهم الشديد في وصف الدمار واثاره على مختلف جوانب الحياة اليومية ومنها ما يلحق بالقصب من اذى بفعل اهمال مشاريع الري اذ ورد في احد النصوص الاتي:

"**اجمة القصب يبست في بركتها ... والمنازل اتكئت على اعمدتها**[6]".

ولدينا نماذج عديدة عن رثاء المدن منها:

1-مرثيتا (مدينة اور) و (اور وبلاد سومر):

أ- مرثية مدينة اور[7]**:**

يبدأ نص مرثية اور ببكاء الالهة ننكال, الهة مدينة اور[8], على مدينتها التي اتخذت الالهة قراراً سماوياً بتدميرها[9], ويعهد مجمع الالهة الى الاله انليل, تنفيذ القرار, وقبل ان يتحرك انليل لأداء مهمته, يقوم اله القمر نانا,, بمحاولة اخيرة للدفاع عن المدينة, ولكن انليل يجيبه بعد ان استمع اليه مطولا, بان قرار الالهة لا رجعة عنه, وان البشر لم يعطوا ميثاقاً باستمرار الاحوال وراحة البال.

---

(1) Cohen, E., balag-compositions, Sumerian Lamentation Liturgies of the Second and First Millennium B.C, p.24.

(2) Cohen, M, E., balag-compositions, Sumerian Lamentation Liturgies of the Second and First Millennium B.C, (SANE) Sources of the Ancient Near East, P. 14

(3) Michalowski, P, The Lamentation Over The Destruction of Sumer and Ur, USA, 1989, pp.4-6.

(4) Gorden, E. I., Sumerian Proverbs Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, Philadelphia, (1959). P. 269; 289

صموئيل نوح كريمر, اينانا ودموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين, ترجمة نهاد خياطة, ط2, دمشق, 2007,ص63.

(5) المصدر نفسه, ص64.

(6) Petter, D, L, The Book of Ezekiel and Mesopotamian City Laments, Gottingen, 2011, p.25.

(7) تتالف هذه المرثية من (436) سطراً وتعد هذه المرثية من اقدم المراثي اذ يعود زمن تدوينها الى العصر البابلي القديم (2004- 1595) ق. م الى النصف الاول من الالف الثاني قبل الميلاد, وهي تصف الهجوم الكاسح الذي شنه العيلاميون على مدينة اور وتدميرها ويعزو كاتب النص سبب ذلك الى غضب الالهة على المدينة واتخاذهم قرارا بتدميرها. ينظر:

- Kramer, S, N, Lamentation Over The Destruction of Our, ANET, 1969, p.455.

فراس السواح, مدخل الى نصوص الشرق القديم, دمشق, 2006, ص242.

(8) تعرف بقايا مدينة اور حالياً باسم المقير وهي تبعد قرابة 17 كم جنوب غرب مدينة الناصرية. ينظر:شاه محمد علي الصيواني, اور بين الماضي والحاضر, بغداد, 1976, ص

(9) فراس السواح, الاسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية, ط2, دمشق, 2001, ص44-45.

وهنا خيم الحزن على المدينة وبدأ ناي القصب يعزف الحان الحزن في اشارة للمصير المؤلم الذي ستلقاه المدينة على يد الاله انليل, وكما جاء في النص الاتي:

"**اجاب انليل ابنه قائلاً: قلب المدينة يبكي, وناي القصب فيها ينوح. شعبها يقضي يومه في العويل والصراخ اي, انانا, ايها النبيل عد لشأنك**[1]".

ومن هول الكارثة التي حلت بمدينة اور فقد قامت الالهة ننكال بانتزاع شعرها من راسها, كما ينتزع القصب من الارض[2] وهذا يدل على تأثر الشاعر بالبيئة التي يعيش فيها اذ انه مما لا شك فيه انه قد لاحظ عملية نزع القصب من الارض فوجد في ذلك صورة معبرة لتشبيه نزع الشعر من الراس بها, لا سيما اذا ما عرفنا ان نزع القصب من الارض يتطلب من الشخص الذي يقوم بذلك جهد وقد ترافق العملية تعرض الشخص لجروح تسبب له الالم وكانه يريد من خلال ذلك الايحاء للقاري الى مدى الجهد والالم الذي يرافق قيام الالهة ننكال بنزع شعرها من راسها, وفيما ياتي نذكر النص:

"**انا ننكال ... تنزع المـــرأة شعـــرها مثـــل ... القصب**[3]".

ب- مرثية اور وبلاد سومر:

تعد هذه المرثية اكثر شمولا من المرثية الاولى بوصفها تشمل رثاء مدينة اور وبلاد سومر عموماً, وقد كتبت ايضا من اجل سقوط سلالة اور الثالثة (2004 ق. م) على ايدي العيلاميين والاموريين, وكان النص يخدم وظيفة طقسية اثناء اعادة بناء المدينة[4], وفي المرثية يبدأ الشاعر بالحديث عن المصير المؤلم الذي حل بمدينة اور العاصمة السومرية المعروفة, اذ عم الخوف والدمار بانحاء المدينة من كل صوب فغدت على حد قول الشاعر كقصبة تتقاذفها الرياح من شدة الخوف, وكما جاء في النص الاتي:

"**اور كـانت مثـل قصبة وحيـدة فـي مهـب الـريـح تـرتعـش مـن شـدة الخـوف**[5]"

وفي مقطع اخر من المرثية يستشهد الكاتب مرةً اخرى بالقصب ليصف لنا في صورة محزنة ما حل بالبلاد من دمار على ايدي الغزاة العيلاميين اذ ان الموت كان مصيره بعد ان تيبست وتكسرت اعواده, فيما اصاب العفن اجمات القصب الموجودة في الاهوار, وكما هو واضح في النص الاتي:

"**ونفقت الحيوانات ذات الاربع العائدة لـ šakan, ولا حراك لاي شيء على الارض والقصب يبس وتكسر, ولم ينبت قصب جديد قصب saghul الذي ينمو في الاجمات, اضحى في مستنقع نتن والنبت الجديد ذوى وانهار من ذاته**[6]".

وكان من بين مظاهر الدمار الاخرى التي حلت بسومر هو عزوف الراعي عن القيام بعمله المعتاد الا وهو تدوير القصب في حظيرة الغنم, هذا فضلا عن نمو القصب المريض في الارض السبخة ربما اشارة لترك الارض واهمال مشاريع الري, وكما جاء في النص الاتي:

"**ألا يدور الراعي قصب (شوكور) في حظيرة الغنم المباركة, ... (و) أن تنبت السباخ قصباً مريض الرأس ويأتي الى نهايته بالنتن ... هكذا قدر (انو) وانليل وننخرساك**[7]".

---

(1) فراس السواح, الاسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية, ص46.

(2) Petter, D, L, The Book of Ezekiel and Mesopotamian City Laments, p.28.

(3) Kramer, S.N. Lamentation Over The Destruction of Ur, Assyriologigal Studies, NO.12, Chicago, 1940, p.53. ; Petter, D, L, The Book of Ezekiel and Mesopotamian City Laments, p.28.

(4) Michalawski, P, The Lamentation Over The Destruction of Sumer and Ur, USA, 1989, p.7.

(5) فاضل عبدالواحد علي, سومر اسطورة وملحمة, بغداد, 1997, ص314.

(6) Michalawski, P, The Lamentation Over The Destruction of Sumer and Ur, USA, 1989, p.47.

(7) Kramer. S.N. Lamentation Over The Destruction of Sumer and Ur, ANET, New Jersey, 1969, p.613.
صموئيل نوح كريمر, اينانا ودموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين, ص72. ؛ الاب سهيل قاشا, قصيدة الزواج المقدس وسفر نشيد الاناشيد في بلاد ما بين النهرين, بيروت, 2014, ص11-12. صموئيل نوح كريمر وديان ولكشتاين, الاسطورة السومرية انانا- ارشيكيكال-ديموزي, ترجمة شاكر الحاج مخلف, دمشق, 2016, ص155.

ولا يكتف الكاتب بهذا الوصف الذي يشع الماً ولوعة بل نجده يثير صورة الكآبة والحزن في المخيلة الشعرية عندما يصف مدينة أور في محنتها مثل قصبة وحيدة مكسورة اذ يقول:

"**اور مثل قصبة وحيدة يتدلى رأسها عاجزة, (و) شعبها مثل الاسماك تم اصطياده باليد**"[1].

وفي مقطع اخر من المرثية يصف الكاتب انهيار معبد قرينة انانا (E.nunkug) في المدينة مثل كوخ قصب هوى على جنبه على يد الغزاة الذين يصفهم النص بالعاصفة التي اتت على كل شيء ما سبب الحزن والاسى لأهل المدينة, ويبدو ان الشاعر كان صادقاً عندما ذكر بصورة عرضية في المرثية انهيار كوخ القصب عند هبوب العاصفة, فقد اشار الى ذلك الاوربيين[2] في مذكراتهم عند قدومهم الى اهوار العراق اذ شاهدوا بام اعينهم انهيار بعض اكواخ القصب عند هبوب الرياح القوية. ما يدل على ان اجدادنا القدماء قد عانوا الامرين من تقلبات الجو التي كانت تسبب في انهيار مساكنهم المشيدة من القصب. وفيما ياتي نذكر نص المرثية:

"**امام تلك العاصفة الساحقة على معبدي, موضع السعادة. على معبدي المقدس الخرب لم تعد تتوقف العيون وبقلب ممزق, المراثي المؤلمة, مراثي الالم توجه اليه معبدي, الذي اسسه رجال دوو استقامة مثل كوخ قصب في بستان انهار على جنبه**[3]".

2-لعنة اكد:

كان من نتيجة الدمار الفادح الذي لحق بمعبد الاله انليل (ايكور) على يد الملك الاكدي (نرام – سين) عندما قام بمهاجمته ان اصبح المعبد عبارة عن معبد صغير مبني من القصب بعد ان كان بناءاً ضخماً وشامخاً من الاجر والخشب الثمين, ولا يستبعد ان يكون سكان بلاد الرافدين كانوا يبادرون لتشيد معابد من القصب عند تعرض معابدهم للدمار والتخريب على يد الاعداء ريثما يتم اعادة بناءها من جديد, وكما جاء في النص الاتي:

"**اعـــاد انليـــل بنـــاء معـــابده الضخمـــة, الى معـــابد صغـــيرة مـــن القصب**[4]".

ويظهر من مجريات الاحداث ان (نرام – سين) قد راى حلماً ادرك من خلاله ان ايام مملكته اصبحت معدودة ونهايتها قريبة الا انه لم يخبر اي شخص بما راه في منامه ومن شدة حزنه وندمه على ما اقترفة يداه بحق معبد الاله انليل (اي- كور) فقد قام بارتداء ملابس الحداد وغطى عربته بحصيرة القصب, ومن المحتمل ان يكون قيام نرام- سين بتغطية عربته بحصيرة القصب تقليد كان يتبعه سكان بلاد الرافدين للتعبير عن حزنهم في المناسبات الحزينة, او قد يكون اشارة منه الى ان شعبه سوف يتعرض للتشريد والتهجير على يد الاعداء, ثم قام بعد ذلك بتمزيق مظلة القصب الموجودة مقابل مركب الاحتفالات ادراكاً منه ان مملكته سوف تمر بايام عسيرة لن يتسنى لها خلالها الاحتفال, وفيما ياتي نذكر النص:

"**نرام – سين راى في الرؤية الليلية ان الاله انليل لن يسمح بعد الان لمملكته اكد ان يكون فيها السرور والاقامة الدائمة.....ادرك (اي نرام – سين) ما كان حول الحلم لكنه لم يضع الكلمات, ولم يخبر اي شخص ... وبسبب اي – كور (E-kur) فقد لبس ملابس الحداد كما انه غطى عربته بحصيرة القصب وقام بتمزيق مظلة القصب قبالة مركب الاحتفالات**[5]".

ويبدو ان الحلم الذي راه نرام – سين قد تحقق, فقد قام الاله انليل من اجل تخريب بيته المحبوب بتصويب نظره الى الجبال واتى بالكوتيين, فغطوا وجه الارض كالجراد, ولم يسلم من قبضتهم احد, فقد، قررت الالهة العظام (سين و انكي و اينانا و ننورتا و ايشكور و اوتو و نوسكو و نيدابا) ان تُدمر مدينة اكد انتقاماً من نرام سين الذي دمر معبد ايكور في مدينة نفر العائد للاله اينليل[6],

---

[1] Kramer. S.N. Lamentation Over The Destruction of Sumer and Ur, ANET, New Jersey, 1969, p.616.

[2] غافن يونغ, العودة الى الاهوار, ترجمة فريد ضياء شكارة, مراجعة واثق الداينى, بغداد, 1990, ص125. ؛ ويلفرد ثيسجر, عرب الاهوار, ترجمة حسن ناصر, المانيا, 2005, ص253.

[3] قاسم الشواف, ديوان الاساطير سومر واكاد واشور, الكتاب الثاني الالهة والبشر, بيروت, 1996, ص397.

[4] Bowen, J,A, A preliminary Study of The Sumerian Curricular and Lamentational Texts From The Old Babylonian City of Kish, Baltimore, Maryland, 2017, p.247.
بوهوسلاف هروشكا واخرون, الاساطير في حضارة وادي الرافدين, ترجمة عصام عبد اللطيف احمد, بغداد, 2006, ص41-42.

[5] Ebeling, J and Cunningham, G, The Electronic Text Corpus of Sumerian Literature, London, 2007, The Cursing of Agade, NO.83-93.

[6] صموئيل نوح كريمر, من الواح سومر, ترجمة طه باقر, مراجعة احمد فخري, بيت الوراق للنشر, بغداد, 2010, ص446-448.

وهنا نجد الكاتب يعبر عن حالة الحزن التي اصابة البلاد على يد الاقوام الكوتية عندما يذكر انه بعد ان كانت تنمو النباتات التي تفرح القلب في الطرق والسهول اصبحت تلك السهول تنبت (قصب الدموع) كتعبير مجازي عن الحزن الذي خيم على البلاد نتيجة الدمار الذي ألحقه الغزاة الكوتيين بها اذ اهملت الطرق والاراضي ما ادى الى نمو القصب في تلك الطرق والاراضي, وكما جاء في النص الاتي:

"**طرق عرباتك لا ينمو فيه سوى النبات الباكي "... وفي السهول حيث كان ينمو النبات الذي يفرح القلب, لم ينبت سوى (قصب الدموع)**[1]".

3-مرثية مدينة بابل:

وردت مرثية مدينة بابل في اللوح الرابع من اسطورة ايرا وقد نظمت في نهاية الالف الثاني قبل الميلاد[2]، ويعزو بعض الباحثين سبب تدوين هذه الملحمة إلى الغزو العيلامي لبلاد بابل خلال حكم السلالة الكشية (سلالة بابل الثالثة) في حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد, وموضوعها الاساسي وصف ويلات الحرب والامراض كالوباء والطاعون التي هي من اعمال الاله ايرا, وبالمقابل كان السلام والخير من صنع الاله مردوك اله بابل[3], اذ عزم ايرا على اجتياح مدينة بابل مدينة الاله مردوك ملك الالهة دون خوف ويفلح ايرا في اقناع الاخير في ان يترك معبده ايساكيلا بصورة مؤقته[4]. ثم ينطلق ايرا, ويدمر بابل التي باتت بلا راعي بعد ان غادر مردوك مدينته, ويبدو ان الفوضى والخوف قد استولى على ابناء بابل, الذين تجمعوا حول ايرا:

" **كـــالـقـصـب فـــي مـقـصـــبـة شـــــائـكـــــة** "

حاملين بايديهم كل ما وقع امامهم من سلاح[5] للدفاع عن مدينتهم لكن بدون جدوى اذ قام ايرا بتدمير المدينة وغادرها[6]. متوجهاً الى مدينة الدير التي جعلها قفراً وقضى على ساكنيها الذين اقتلعهم كما يقتلع القصب من الارض دلالة على قتل اعداد كثيرة منهم, وكما يوضح النص الاتي:

"**لقـــد جعلـــت مـدينـة ديـــر قفـــراً ؛ لقـــد اقتلعـــت سكـــانهـــا كـــالـقصـــب! ...**[7]"

4-مرثية ايسن:

وقد وردت مرثية على خراب مدينة آيسن (ايشان بحريات) ومعابدها الرئيسة منسوبة إلى الآلهة (نن – سينا) تستذكر بحزن ذكرى الأيام السعيدة على البيت المدمر، حيث كانت تقام المهرجانات، وتعزف الموسيقى، على المزامير القصبية التي لعبت دوراً في مرثية مدينة إيسن اذ كانت هناك مزامير من القصب للنحيب تعرف بمصطلح (GI IR.RA=qan bikiti)[8]. لم تعد تصدر انغاماً عالية مع باقي الآلات الموسيقية الاخرى كالقيثارة والطبل والتي كانت تستعمل لهذا الغرض ايضاً وكما جاء في النص الاتي:

"**بيتي، حيث لم يستلقَ على الأسرة الجيدة.القيثارات المقدسة لا تعزف, إلى حيث تنوح الرقوق المقدسة لم تعد تنوح, الصلاصل المقدسة لم تخشخش بعذوبة, مزاميري القصبية لم تصدر أنغاماً موسيقية عالية المرثاة لم تهدئ قلبي**[9]".

---

(1) صموئيل نوح كريمر, السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم, ترجمة فيصل الوائلي, بيروت, 1973, ص87 ؛ بوهوسلاف هروشكا واخرون, الاساطير في حضارة وادي الرافدين, ترجمة عصام عبد اللطيف احمد, بغداد, 2006, ص45. ؛ جورج شمار بوييه، المسؤولية الجزائية، ص 67- 68 ؛ سامي سعيد الاحمد، العراق القديم، ج2، ص 77.

Kramer, S.N., ANET, P. 647-651.

(2) Hallow, W, W, Lamentation and Prayers in Sumer and Akkad in Civilization of The Ancient Near East, By Sasson, J.M. VOL.III, New York, 1995, p.1874.

(3) طه باقر, مقدمة في ادب العراق القديم, بغداد, 2012, ص169-170.؛ عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا،ص182 ؛ سالم حسين الأمير، الشعر والأدب في أقدم الحقب، دمشق, 2008, ص151.

(4) صموئيل نوح كريمر, اساطير العالم القديم, اساطير سومر واكاد, ترجمة احمد عبد الحميد يوسف, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1974, ص104.

(5) ستيفاني دالي, اساطير من بلاد ما بين النهرين, ص447.، فراس السواح, مدخل الى نصوص الشرق القديم, دمشق, 2006, ص158-159.

(6) المصدر نفسه, ص448.

(7) المصدر نفسه, ص451.

(8) Hallow, W.W., Lamentation and Prayers In Sumer and Akkad, p. 1872.

(9) Jacobsen, Th., The Harp that once..., London, 1987.,pp. 475-477.

ثالثاً- ذكر القصب في رثاء الملوك والاشخاص:

كان ملوك بلاد الرافدين يحظون بمكانة دينية كبيرة في نظر سكان بلاد الرافدين ذلك لأن الآلهة انتخبتهم وجعلتهم ممثليها على الأرض، فكان يمثل الناس امام الالهة وبالمقابل فقد كان الواسطة التي تنظم الالهة من خلالها شؤون الناس الامر الذي اكسبهم مركزا مرموقا ومقدسا واحتراما كبيرا[1]، وكان موت الملك يمثل حادثا جللا يشمل تأثيره على كل الناس دون استثناء؛ لأنه نذير شؤم في غاية الخطورة بالنسبة لمستقبل البلاد اذ تربك وفاته النظام المقرر للأشياء، فالطوالع السيئة تقرن وفاة الملك مع ذبول الخضراوات, وهبوط مناسيب الأنهار، وتقرر قيمة العلاقة بين موت الملك وذبول الخضراوات وفق المفهوم الذي يساوي بين الملك و (تموز الميت)، فالتعابير التي كانت تستعمل في إظهار الأسى على موته, تشبه كثيرا ما كان يستعمل عند موت الإله[2], وقد جاءتنا في النصوص المسمارية عدد من المراثي التي تناولت رثاء الملوك الذين ماتوا[3] وبقدر تعلق الامر بالقصب فقد اقتصر ذكره على مرثية واحدة هي مرثية الملك أور- نمو (2112-2095) ق. م الذي يعد مؤسس سلالة اور الثالثة، والذي مات قبل أوانه[4]. وقد دون هذا النص على رقيم طيني[5]، يحتوي على ستة أعمدة من تنقيبات جامعة (بنسلفانيا) في مدينة نفر(1889- 1900)[6]. ونستشف من احد فقرات النص ان القرابين كانت توضع على منضدة من القصب مقابل الكاتب الذي يقوم باحصاء القرابين المقدمة للالهة وكان القصب يقدم مع هذه القرابين, وكما جاء في النص الاتي:

" **الراعي أور- نمو قدم الاضاحي في قصره. ختم اللازورد المتدلي على خنجر، صدر الذهب والفضة مع رأس الثور، إلى (Dimpiku) الذي يقف بجانبه يقدم. غطاء الرأس مع الأذن السامية للرجل الحكيم، وهي مصنوعة من حجر الالباستر، توزع على منضدة القصب على جانب القاعة مقابل الكاتب، مسح صولجان اللازورد قصبة (ninda) واحدة ...**[7]".

اما بخصوص مراثي الاشخاص فقد ورد ذكر القصب في رثاء رجل معذب يبتهل إلى إلهه وهو نص[8] مؤلف باسلوب المرثية الشخصية[9], فنقرأ فيه وصفاً لمعاناة رجل يعتقد أن إلهه هجره اذ انه لوحق مثل قصبة ضعيفة في وسط الريح وكما جاء في النص الاتي:

" **في عذاب القلب، في نحيب مفزع . يبقى حزينا شكى بمرارة عذاب القلب، ... لوحقت مثل قصبة في وسط الريح إلهي [اغفر] خطيئتي**[10]".

---

(1) هاري ساكز، عظمة بابل، ص415-416.

(2) جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي وعبد برهان التكريتي، ط2, بغداد، 1986، ص492-493.

(3) من المراثي التي تناولت رثاء الملوك الموتى مرثية الملك كلكامش اذ بكاه سكان الوركاء، وارتفع نواحهم، وقدموا من أجله القرابين إلى الإلهة ايرشكيكال إلهة العالم الأسفل. وحول النص الكامل لهذه المرثية. ينظر:

- Kramer, S. N., "The Death of Gilgamesh, ANET", 1969, pp.50-52.
- نائل حنون, ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص, ص240-259.

وهناك ايضاً مرثية للملك سنحاريب (704-681 ق.م) على لسان ابنه اسرحدون (680- 669 ق. م) بعد قتله على يد اخوته حول مضمون النص. ينظر:

- Parpola, S., Assyrain Prophecies, In, SAA, Vol.IX, Helsinki, 1997, pp.LXXII-LXXIII.

كما ان هناك مرثية اخرى لـ(أدد ـ كوبى) والدة (نابو ـ نائيد) (555-539 ق. م) اخر ملك وطني حكم بابل., ينظر:

- Oppenheim, "A.L.. The Mother of Nabonidus", ANET, 1969,pp.550-562.

(4) Kramer, S.N., The Death of UR-Namu and His Descent to The Netherworld, Jcs, VOL.21, 1967, p.104.

(5) كشفت هذه الوثيقة النقاب على عمليات الدفن الملكية الخاصة بالملك أور ـ نمو ـ وهي تشتمل ايضاً على تعداد انجازات الملك المهمة في الحرب والسلم والحوادث التي كانت سببا في موته. ينظر:

Kramer, S.N., Death and Nether world According to the Sumerian Literary Texts, Iraq, Vol. XXII, 1960, p.60.

(6) Kramer, S.N., The Death of UR-Namu and His Descent to The Netherworld, p.112.

(7) Kramer, S.N., The Death of UR-Namu and His Descent to The Netherworld, Jcs, VOL.21, 1967, p.119.

(8) وهو حوارا بين رجل وإلهه يعبر فيه الرجل عن حزنه ومعاناته، وكيفية تعامله مع هاجس الذنب، ونقف في هذا النص أمام تأملات العدالة الإلهية، وهو مناجاة للنفس من رجل حلت به النكبات والآلام التي لا يستحقها، اذ إنه كان تحت وطأة الشقاء والمصائب لأن القدر كان مسؤولا عن ذلك، ومهما كان إيمانه بالعدالة الإلهية فإن الصالحين مضطهدون والخبثاء منتصرون دائما. ينظر: رينيه لابات، وآخرون، سلسلة الأساطير السومرية، ـ ديانات الشرق الأوسط، نقله إلى العربية، مفيد عرنوق، دمشق، 2000، ص386.

(9) نائل حنون, حقيقة السومريين ودراسات اخرى في علم الاثار والنصوص المسمارية, دمشق, 2007, ص70

(10) Foster, B.R., From Distant Days, Maryland, 1995., P.328.; Foster, B, R, Before The Muses, VOL.1, p.629.

وهناك نص اخر معروف بـ (لامجدن رب الحكمة) تضمن تمجيداً للاله مردوك الا ان اسلوب صياغته يضعه في باب ادب المراثي[1], وقد ورد ذكر القصب في هذا النص ايضاً, فنلاحظ عندما يتحدث المعذب, عن تعرضه للعذاب والشقاء بسبب ابتلائه بشتى انواع الامراض التي تجسدت بارواح واشباح شريرة جاءت تهاجمه من مستقرها في عالم الاموات ومياه العمق (ابسو). يصف المعذب ما سببته له تلك الاشباح وارواح من انهاك لبدنه بالقول:

"**وحنــت جسمي القــوي مثلــما تحنى حــزمــة القصب**" [2].

ومما زاد في تفاقم سوء حالة المعذب الصحية الجوع الذي اصابه لدرجة ان امعائه الغليضة تقلصت من شدة الجوع واصفاً انعقادها مثل سلة القصب كما جاء في النص الاتي:

"**الامعاء الغليضة تقلصت من الجوع انعقدت مثل سلة قصب**[3]".

الاستنتاجات:

1-تضمنت المراثي الخاصة برثاء الالهة والمدن والملوك والاشخاص بين ابياتها الشعرية العديد من الاشارات الى القصب.

2-ورد ذكر القصب في مراثي الالهة والمدن والملوك والاشخاص بشكل صريح أي كنبات ينمو ويموت للاستشهاد به في هذه المراثي.

3- ذكر بالقصب في مراثي الالهة والمدن والملوك والاشخاص بشكل غير صريح بوصفه كمادة اولية استعملت في صنع اشياء اخرى ورد ذكرها في تلك المراثي كناي القصب وكوخ القصب ومنضدة القصب.

4-لا يتوقف توظيف القصب في المراثي بذكره به بشكل صريح او غير صريح بل نجد ان الشاعر ذهب لابعد من ذلك عندما قام بتوظيف ما كان يجري على القصب من عمليات يومية كقطعه او شده كحزمة قصب والاستشهاد به هذه المراثي.

مصادر البحث:

أ- المصادر العربية:

1- بوهوسلاف هروشكا واخرون, الاساطير في حضارة وادي الرافدين, ترجمة عصام عبد اللطيف احمد, بغداد, 2006.

2- جورج بوبيه شمار، المسؤولية الجزائية في الاداب الاشورية والبابلية, ترجمة سليم الصويص, بغداد, 1981.

3- جورج كونتينو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة سليم طه التكريتي وعبد برهان التكريتي، ط2, بغداد، 1986.

4- جيمس فريزر, الغصن الذهبي دراسة في السحر والدين, ترجمة احمد ابو زيد, القاهرة, 1973.

5- جيمس فريزر، أدونيس أو تموز، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، بيروت، 1979.

6- حسن فاضل جواد, حكمة الكلدانيين, القسم الاول مقدمات ونصوص, مراجعة عبد الامير الاعسم, بغداد, 2000.

7- رينيه لابات، وآخرون، سلسلة الأساطير السومرية، . ديانات الشرق الأوسط، نقله إلى العربية، مفيد عرنوق، دمشق، 2000.

8- سالم حسين الأمير، الشعر والأدب في أقدم الحقب، دمشق, 2008.

9- سامي سعيد الاحمد، العراق القديم من العصر الاكدي حتى نهاية سلالة بابل الاولى، ج2، جامعة بغداد, 1983.

10-سامي مهدي, نظرات جديدة في ادب العراق القديم, بغداد, 2015.

11-ستيفاني دالي, اساطير من بلاد ما بين النهرين, ترجمة نجوى نصر, ط2, بيروت, 2011.

12-سهيل قاشا, قصيدة الزواج المقدس وسفر نشيد الاناشيد في بلاد ما بين النهرين, بيروت, 2014.

13-شاه محمد علي الصيواني, اور بين الماضي والحاضر, بغداد, 1976, ص

[1] نائل حنون, حقيقة السومريين ودراسات اخرى في علم الاثار والنصوص المسمارية, دمشق, 2007, ص71.

[2] فرانكفورت واخرون, ما قبل الفلسفة, ترجمة جبرا ابراهيم جبرا, بغداد, 1960, ص253.؛ فاضل عبدالواحد علي, سومر اسطورة وملحمة, بغداد, 1997, ص255.؛ حسن فاضل جواد, حكمة الكلدانيين, القسم الاول مقدمات ونصوص, مراجعة عبد الامير الاعسم, بغداد, 2000, ص112.؛ فاضل عبدالواحد علي, الادب, حضارة العراق, ج1, بغداد, 1985, ص369.؛ سامي مهدي, نظرات جديدة في ادب العراق القديم, بغداد, 2015, ص230.

[3] نائل حنون, نصوص مسمارية تاريخية وادبية, بيروت, 2015, ص356.

- Lambert, W, G, Babylonian Wisdom Literature, P.55.

14- صموئيل نوح كريمر, السومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم, ترجمة فيصل الوائلي, بيروت, 1973.
15- صموئيل نوح كريمر, اساطير العالم القديم, اساطير سومر واكاد, ترجمة احمد عبد الحميد يوسف, الهيئة المصرية العامة للكتاب, 1974.
16- صموئيل نوح كريمر, اينانا ودموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين, ترجمة نهاد خياطة, ط2, دمشق, 2007.
17- صموئيل كريمر, من الواح سومر, ترجمة طه باقر, مراجعة احمد فخري, بيت الوراق للنشر, بغداد, 2010, ص446-448.
18- صموئيل نوح كريمر وديان ولكشتاين, الاسطورة السومرية انانا- ارشيكيكال- ديموزي, ترجمة شاكر الحاج مخلف, دمشق, 2016.
19- طه باقر, مقدمة في ادب العراق القديم, بغداد, 2012.
20- عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا، بغداد, 2004.
21- غافن يونغ, العودة الى الاهوار, ترجمة فريد ضياء شكارة, مراجعة واثق الدايني, بغداد, 1990.
22- ويلفرد ثيسجر, عرب الاهوار, ترجمة حسن ناصر, المانيا, 2005.
23- فاضل عبدالواحد علي, الادب, حضارة العراق, ج1, بغداد, 1985.
24- فاضل عبدالواحد علي, سومر اسطورة وملحمة, بغداد, 1997.
25- فراس السواح, الاسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية, ط2, دمشق, 2001.
26- فراس السواح, مدخل الى نصوص الشرق القديم, دمشق, 2006.
27- فرانكفورت واخرون, ما قبل الفلسفة, ترجمة جبرا ابراهيم جبرا, بغداد, 1960.
28- قاسم الشواف, ديوان الاساطير سومر واكاد واشور, الكتاب الثاني الالهة والبشر, بيروت, 1996.
29- قاسم الشواف, ديوان الاساطير سومر واكاد واشور, الكتاب الرابع الموت والبعث والحياة الابدية, بيروت, 2001.
30- نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ط2, بغداد, 1986.
31- نائل حنون, حقيقة السومريين ودراسات اخرى في علم الاثار والنصوص المسمارية, دمشق, 2007.
32- نائل حنون, نصوص مسمارية تاريخية وادبية, بيروت, 2015.
33- نائل حنون, ملحمة جلجامش ترجمة النص المسماري مع قصة موت جلجامش والتحليل اللغوي للنص, ط2, بغداد, 2017.
34- هاري ساكز, قوة آشور, ترجمة عامر سليمان, بغداد, 1999.
35- هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان, الموصل, 1979.

ب- المصادر الاجنبية:

1- Black, J. and Green, A., Gods, (GDSAM) Demons and Symbols of Ancient Mesopotamia, England, 1998.
2- Bowen, J,A, A preliminary Study of The Sumerian Curricular and Lamentational Texts From The Old Babylonian City of Kish, Baltimore, Maryland, 2017.
3- Caplice, R, Namburbi Texts in British Musem, OrnS, 39,.
4- Cohen, A. C., " Death Rituals.
5- Cohen, M, E, Balag-Compositions Sumerian Lamention Liturgies of The Second on First Millenuim B.C, SANE, 12, 1974, pp.16-17.
6- Ebeling, J and Cunningham, G, The Electronic Text Corpus of Sumerian Literature, London, 2007.
7- Foster, B.R., From Distant Days, Maryland, 1995., P.328.; Foster, B, R, Before The Muses, VOL.1,.
8- Gorden, E. I., Sumerian Proverbs Glimpses of Everyday Life in Ancient Mesopotamia, Philadelphia, (1959).

9- Hallow, W.W., Lamentation and Prayers In Sumer and Akkad,
10- Jacobsen, Th., The Harp that once..., London, 1987.,pp. 475-477.
11- Jacobsen, Th., Toward the Image of Tammoz and other Essays on Mesopotamian History and Culture, Harvard University Press, 1970, P. 99.
12- Jacobssen, T,Treasures of Darkness, London, 1976, p.69.
13- Kramer, S. N., " The Weeping Goddess: Sumerian Prototypes of the Mater Dolorosa ", BiAR, Vol. 46, No. 2, New Haven, 1983.
14- Kramer, S, N, Lamentation Over The Destruction of Our, ANET, 1969.
15- Kramer, S. N., "The Death of Gilgamesh, ANET", 1969.
16- Kramer, S.N. Lamentation Over The Destruction of Ur, Assyriologigal Studies, NO.12, Chicago, 1940,
17- Kramer, S.N., Death and Nether world According to the Sumerian Literary Texts, Iraq, Vol. XXII, 1960.
18- Kramer, S.N., The Death of UR-Namu and His Descent to The Netherworld, Jcs, VOL.21, 1967.
19- Kramer, S.N., The Sacred Marriage Rite. Indiana 1964.
20- Kramer, S.N., The weeping Goddess: Sumerian Prototype of the Mater Dolorosa, (BA) Biblical Archaeologist, 46,1983.
21- Kramer. S.N. Lamentation Over The Destruction of Sumer and Ur, ANET, New Jersey, 1969.
22- Lambert, W, G, Babylonian Wisdom Literature, P.55.
23- Leick, G., A Dictionary of Ancient Near Eastern Mythology, London, 1997., p. 30.
24- Michalawski, P, The Lamentation Over The Destruction of Sumer and Ur, USA, 1989.
25- Oppenheim, "A.L.. The Mother of Nabonidus", ANET, 1969.
26- Parpola, S., Assyrain Prophecies, In, SAA, Vol.IX, Helsinki, 1997.
27- Petter, D, L, The Book of Ezekiel and Mesopotamian City Laments, Gottingen, 2011